

الواقعية في الشعر الكويتي المعاصر (دراسة نفسية)

أ.م.د جاسم غالي رومي المالكي

الملخص

تعدُّ مرحلة اكتشاف البترول العامل المساعد على نمو الاتجاه الواقعي في الشعر الخليجي المعاصر، وذلك لكون المجتمع الخليجي في هذه المرحلة قد وصل الى حدٍّ كبير من الثراء السريع، الذي غير واقع هؤلاء الناس من الفقر والجوع والحرمان والظلم الى واقع أكثر رفاهية في العيش، وبدء مرحلة جديدة من حياته الاجتماعية والمدنية المتحضرة.

ومما لاشكَّ فيه أن هذا التعبير في هذه المرحلة قد ساعد على الاتجاه نحو الشعر الواقعي فنياً وموضوعياً، على العكس من مرحلة الرومانسية والوجدانية التي تذهب بخيال الشاعر نحو أفق أوسع لتحقيق النغم الذاتي والرومانسي والوصول إلى العالم المثالي في سرد الأحداث كأن تكون عاطفة أو طبيعة بأنواعها الملموسة والمحسوسة في صور فنية غاية في التصوير. وقد تمثل ذلك التيار بإبراهيم العريض، وغازي القصيبي، وخليفة، وأحمد العدوان وغيرهم ممن مثلوا هذه المرحلة.

المقدمة

تعدُّ مرحلة اكتشاف البترول عاملاً مساعداً على نمو الاتجاه الواقعي في الشعر الخليجي المعاصر، وذلك لأن المجتمع الخليجي في هذه المرحلة قد وصل إلى حدٍّ كبير من الثراء السريع، الذي غير واقع هؤلاء الناس من الفقر والجوع والحرمان والظلم إلى واقعٍ أكثر رفاهية في العيش، وبدء مرحلة جديدة من حياته الاجتماعية والمدنية المتحضرة.

ومما لا شك فيه أن هذا التغيير في هذه المرحلة قد ساعد على الاتجاه نحو الشعر الواقعي فنياً وموضوعياً، على العكس من مرحلة الرومانسية والوجدانية التي تذهب بخيال الشاعر نحو أفقٍ أوسع لتحقيق الحس الذاتي والرومانسي والوصول إلى العالم المثالي في سرد الأحداث كأن تكون عاطفة أو طبيعة بأنواعها الملموسة والمحسوسة في صور فنية غاية في التصوير. وقد تمثل هذا التيار بإبراهيم العريض وغازي القصيبي وخليفة الوقيان واحمد العدوان وغيرهم ممن مثلوا هذه المرحلة.

وقد تجسدت مرحلة التيار الواقعي بشعرائه القداماء والجدد وهم جيل الآباء والجيل الثاني جيل الأبناء. وقد تمثل الإباء بأصحاب العادات والتقاليد القديمة الى ان جاءت بتحولات الجيل الجديد وهو جيل الأبناء بعد اكتشاف البترول. ولذا أصبح هذا التناقض بين جيلين الكل يريد أن يثبت قيمته الذاتية والواقعية على حساب الغير ومعارضته سلوك الآخر.

وقد أدت هذه الأمور مجتمعة إلى حصول غربة مكانية وزمانية في الوقت نفسه عند الآباء والأبناء معاً وهي تكرار الواقع الجديد والسعي الى التهرب منه تمثل ذلك بظهور شاعرين مثلاً ذلك وهما علي السبيبي ومحمد الفايز اللذان شكلاً محور دراستنا لهذا الموضوع الشيق فكلٌ مثل نمطه في هذه المرحلة فعلي السبتي كان واضحاً في معالجة الواقع الذاتي لمدينته الكويت وكان أكثر جرأة في تحديد مواطن الخلل فيها وبكل جدية ومصادقية. أما محمد الفايز فقد استعمل الرمز في معالجة قضايا مدينة الكويت، وقد رمز لذلك المنقذ من هذه الامور مجتمعة (بالبحار) وهو صاحب مهنة الغوص الذي يعد المنقذ الوحيد لسكان هذه المدينة من فقرها وجوعها وظلامها. وكل ذلك مطبقاً على شعرهما في دراسة هذه القضايا.

نبذة مختصرة عن حياة علي السبتي

تجدر الإشارة إلى أن الشاعر الكويتي علي السبتي يعدُّ من أعمدة الشعر الكويتي من أكثرهم عناية بالمشاكل الاجتماعية والسياسية في بلده، حيثُ ولد عام 1935م. وقد كان صاحب قلم وفكر، يكتب في عدد من الصحف والمجلات الأدبية والثقافية الكويتية والعربية، وكذلك ترأس حياة تحرير مجلة (اليقظة) الكويتية وكان عضواً في رابطة الأدباء الكويتيين، فضلاً عن أنه له ديوان يكاد يكون الوحيد الذي جمعت فيه أشعاره وقد سماه (بيت من نجوم الصيف) عام 1969م، وقد طبع في دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت، وقدم له الشاعر ناجي علوش، وهو يتضمن القصائد التي قيلت ما بين عام 1958م وعام 1968م. وهو يعد من أجمل قصائد الشاعر علي السبتي التي قالها وأفضلها اجتماعياً وسياسياً.

الواقعية في شعر علي السبتي

يتحدد مفهوم الاتجاه الواقعي في شعر علي السبتي في معالجة المشكلات الاجتماعية والسياسية والمعاشية في بلده، وكيفية المعيشة لهؤلاء الناس والأخطاء في المجتمع الكويتي، والحكومة على حدٍّ سواء ومعالجة التقاليد السائدة في هذا المجتمع وكيفية الحد منها وما تجلبه من مآسي إنسانية، لذا قد نشر معظم قصائده في الصحف الكويتية والعراقية آنذاك. مضمنها كل الأمور الخاصة بالبيئة الكويتية وسطوة التقاليد والحلول اللازمة لذلك⁽¹⁾.

ومن البديهي القول أن أي تعبير عن المشكلات التي تصيب الإنسان الواقعي ومنها مشكلات الحب والمحبة في مجتمع قيمه متخلفة باحثاً عن الحرية الفكرية والعاطفية له ولوطنه، والحس المتمزمت للعقلية الاجتماعية والاقتصادية اللاهثة وراء المال والكسب السريع، وكذلك علاقة المرأة والرجل ودواعي الرقيب المهيمن على هذا الطرف أو ذاك جعلت الإنسان الكويتي أو الشاعر الكويتي نفسه رهين هذه القيود وسطوتها، فجاء الحس الواقعي لدى الشعراء ومنهم علي السبتي متلهفاً للقضاء على هذه التقاليد وسطوتها. واللجوء إلى الحب والحرية والمساواة في نهجه⁽²⁾.

لذا فقد تحدد مفهوم الشعر عند علي السبتي بأنه التزام اجتماعي وأخلاقي في مواجهة تقاليد المجتمع السائدة والبالية في الكويت والمجتمع الخليجي بصورة عامة. وإيجاد الحلول الناجعة لحل هذه المشكلات اجتماعياً وسياسياً وفكرياً بعيداً عن كل المشاحنات، وفرض الصورة

الحضارية في طريقة التعامل مع هذه المتغيرات الإنسانية والاجتماعية. وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر علي السبتي حاول أيجاد بعض الحلول لهذه المشكلات وعن طريق القصيدة أو البيت الشعري المفرد ومحاربة ما يعرف بـ(منطق الشريف) والنكوص عن حل المشكلات في المجتمع الكويتي، والحد من المفارقات المادية بين عموم الشعب وأغنيائه⁽³⁾.

لقد صور لنا الشاعر ذلك في قصيدة من ديوانه (بيت من نجوم الصيف) اسمها (مدينة ناسها بشر)، صورة قاتمة عن مدينته الكويت وأبنيتها وناسها تصويراً حسيماً واقعياً عبر فيه عن مشاعره تجاه هذه المدينة واصفاً ذلك بقوله⁽⁴⁾:

قبأبها قد بُنيت للزينة

فهي مدينة حزينة

وكل عذراء بها

تنام عند بابها

تنتظر الصباح، والصباح لا يعود

لأنه من دونه ملاعب القروء

مدينتي كأنها تمثال

ملون مزركش لكنه تمثال

حتى النساء في مدينتي بلا آمال

المال في مدينتي المال

يبيع يشتري يستأجر الرجال

الجنس والاطفال والسكن

مدينتي غيومها بلا مطر

وارضها حجر

وناسها من ناسها

بشر!

هنا يصور الشاعر مدينته أنها مدينة مادية فقط بلا عواطف وأنها ذات طابع عمراني مبهر في جماله المنظور، لكنها تخلو من البشر الذين يمتلكون العواطف وسمات الحب، وإن حب المال هو السائد وهو دولة بين الأغنياء وهم قادرون على شراء كل شيء ولو بأغلى

الإثمَان. وان ظاهرة الجنس وشراء الإعراض موجود ويشترى بأرخص الأثمَان. لذا فان هذا الشيء يؤرق الشاعر ويشعره أن المدينة خالية من الحس الإنساني بسبب هذه العوامل مجتمعة.

ويصف في مقطوعة أخرى من إحدى قصائد ديوانه الجفاء الإنساني لهذه المدينة وزيف الحياة فيها وبهرجتها وخلوها من أوامر الحب في فهو المجتمع أن يرى هذه المدينة خراباً غير قادرة على النهوض من جديد وكأنه يصف لنا ذلك بصورة حسية مجسمة واقعياً. دافعاً ذلك إياه للصلاة والترحم من أجل عودة أرض فلسطين المغتصبة، وقد أتبع هنا الجانب الرمزي في تصور الأحداث مجتمعة. وكأن الشاعر يعيش حياة من الغربة نتيجة الأوضاع الاجتماعية والسياسية مشيراً إلى تجربة عاطفية عاشها في بلاد الغربة (عودة إلى الأرض الخراب)، إذ يقول⁽⁵⁾:

آه من عينيك من سحر القوام السميري
أنت لي دنيا من الاطياب يا طيب الرحيق البابلي
ذلك العهد الذي مر، كأحلام العذاري
كأمانى السكاري
ليته يرجع لي
عدت من جنة أحلامي إلى الأرض الخراب
عدت للدار التي تصفني بابا فباب
عدت يا قبر الشباب
مرغماً يسحقتي القيد يدمي معصمي

وفي المقطوعة الثانية من القصيدة نفسها يصف فلسطين ومهد السيد المسيح، وسيطرة اليهود على ذلك المكان المقدس، وصفاً واقعياً حسياً دقة في التصوير، إذ يقول⁽⁶⁾:

عدت للأرض التي تُثبت سلاً وعذاباً أزلي
مالها باب بها ألف يهوذا
وأنا فيها المسيح
تأكل الغربان من عيني
تمتص دمي
فأداري ألمي

هنا الشاعر يسبك الحدث في طريقة درامية معبراً عن تلك القيود الاجتماعية والتقاليد التي تحول بين الشباب وحرية الحب في وطنه وإحساسهم بالغربة، فيرون الناس من حولهم كأنهم أعداء لهم يتربصون بهم الدوائر، كما كان يتربصون بالمسيح(ع).

وفي قصيدة أخرى من ديوانه اسمها ((في سدوم))، فهي تحمل دلالات العودة إلى الوطن عند السبت، وهي ليست عودة من الجنة إلى الخراب، ولكنها عودة من خراب إلى جنة حسب وصفه، واصفاً فيها الظلم وحالة الزيف والمتاجرة بعرض النساء وكرامتهن، والتشرد الذي يعانيه صغار السن، وكيف يكون المال هو الهاجس الوحيد لدى هؤلاء التجار وفيه كل شيء يباع ويشترى.

وهو هنا يقصد (في سدوم) أي مدينة الكويت التي عاد إليها وهي الجنة والثانية عودته من الخراب أي دول الغرب إلى الجنة وهي مدينته قائلاً⁽⁷⁾:

هذا أنا أعود يا رفاق
أحمل قلبي الذي أوجعه الفراق
أحمل ذكرياتي التي تراكمت خلال شهر
اتعرفون يا رفاق كيف مر
شهر كآلف عام
قضيته على موائد اللثام
مر بلا ابتسام
كنتُ هناك حيثُ يزرع الجذام
وحيثُ يصلبُ المسيح كلَّ ليلة وتوقدُ الشموع
لمومس تأكل من أثائها كيلاً تجوع
رأيتُ قوتهم هناك من كرامة النساء
ومن تشرد الصغار من تعاسة الشعوب

وفي مقطوعة أخرى من القصيدة نفسها يصف الشاعر مدينته الكويت يصف فيها عودته من الخراب إلى الجنة وهي الكويت فهو هنا أكد لنا عكس الصورة الشعرية والوصف الواقعي لهذا الحال قائلاً⁽⁸⁾:

من يدفع الفلوس يلق ما يشاء في سدوم

يا أرضي التي ترابها ذهب
وناسها عرب
وبحرها يرش في دروبها محار
كويت يا الكويت يا الكويت
كويت يا الكويت يا الكويت
يشدني إليك شوق نهر
أتعرفين كيف مر
أتعلمين أنني من الأسى بكيث
وأنت
هل شعرت بالفراق يا الكويت؟

هنا نجد الشاعر قد عبر عن الظلم والاضطهاد في بلده وغير بلده وهو اضطهاد اجتماعي. وكانت لديه رؤية قائمة على أن يرى وطنه مرتين مرة جنة ومرة أخرى خراب حيث رمز لها اسم (سدوم)، وهو هنا أيضاً أعطى إشارات رمزية منها يهوذا والمسيح والصليب وهي ذات دلالات فنية استطاع الشاعر علي السبتي أن يوظفها في شعره الواقعي.

يسترسل الشاعر أيضاً في وصفه للمال وسطوته لدى الأغنياء والتعدي على التقاليد الاجتماعية آنذاك، ومنه تعدد الزيجات الفاشلة التي تترك لنا المأسى الاجتماعية وهي عبارة عن تجارب عاطفية فاشلة مرد ذلك عدم التكافؤ بين الزوج والزوجة من جميع النواحي المادية والمعنوية، فهو يصور ذلك في قصيدة اسمها (القصيدة الاخيرة)، يصف فيها حبه لأحدى الفتيات، وبعد ذلك يكتشف خيانتها، قائلاً:-

وسأرويها للناس بكل زمان
وسأسقي أحرفها بمرارة قلب كان
طيراً يبحث عن عش، فرأى العش
ينام فيه ثعبان
ورأها زنبقة غناها
وتعذب حتى ألفاها
فإذا الزنبقة الحلوة محض دخان
وقوارير الطيب وعاء صديد

والقدُّ الَاهِيْفُ، ليس سوى بعض قديد
والعَفَةُ ستر للخزي بليد
وأمأساة الشاعر حين يظنُّ الدفءَ
بكهف جليد

ويصف الشاعر علي السبتي القيود المفروضة على تحرك المرأة في الكويت، والسيطرة على حريتها من خلال العادات والتقاليد البائسة التي كانت تحكم المجتمع الكويتي آنذاك وسيطرة الرجل على المرأة واختلال الميزان في الحقوق والواجبات جعله ينتقد هذه الحالة، وكذلك وجود الرقيب أو الواشي الذي يفسد العلاقات الاجتماعية ويحجم الحريات بين الناس في هذا المجتمع، فهو في قصيدته (في عشنا ثعبان) يصور لنا هذا الأمور مجتمعة بقوله⁽⁹⁾:

روحتُ أَلثمها من كل ناحية
وأشربُ اللذة الكبرى بدون فم
أحسستُ لحظتها،
ودوت صرختان
ذاك الرقيبُ لايزال من زمان
يرقبني كأنه ثعبان
وانتفضتُ تغادر المكان
وخلفتني غارقاً في لجة الأحزان
ماذا على الرقيب لو تصافحتُ عينان
لو أن - من هواهما - تعانق القلبان
ماذا على الرقيب أيها الإخوان؟

ونراه في قصيدة أخرى من قصائد ديوانه يلجُ على مسألة الرقيب أيضاً ولكنه لا يصرحُ بها تصريحاً ملموساً، ولأنه يرى أن المال أكثر سطوة من غيره في فعل كثيرٍ من الأمور منها مسألة زواج البنات البكر من أناس اكبر منهن سناً، وقد سماها (في الليل يذوي الجليد) وهي قصة فتاة صغيرة تتزوج من شيخ عجوز، وهو زواج غير متكافئ مادياً ومعنوياً، وبعدها تحس الفتاة بنقصٍ في الحب والعواطف فتبدأ المأساة، إذ يقول واصفاً ذلك⁽¹⁰⁾:

ماذا لو أني لم اكن بنتاً ((أصيله))؟
لو كنت مثل الأخريات لفزت بالفرص الخضيلة

لو كنتُ مثل سعادٍ أو ليلي لعشت كما أريدُ
 بنتا تريد فتستطيعُ وليس والدها يريد
 فيمزقُ الروحَ البرئ حياته لدم القبيلة
 إن باع أهلي جسمي الريان للمال الوفير
 فلقد وهبتك قلبي الصخّاب بالدم والشعور
 لا المالُ يغريني بهجرك أو وعيدُ الاقربين

لقد عبر الشاعرُ هنا عن واقع مدينته والعادات والتقاليد تعبيراً دقيقاً جمع فيه سطوة المال ومغريات أصحابه في السعي للحصول على الفرص من هذا النوع من الزواج. وفي جانب آخر يدعو الشاعر للمحافظة على العادات والتقاليد والقيم النبيلة التي تخدم المجتمع ومنها الزواج وتكوين الأسرة واختيار الزوج المناسب بعيداً عن سطوة التقاليد والأعراف العشائرية المقيته داعياً لتحرير الفتيات من هذه القيود المقيته إذ يقول⁽¹¹⁾:

والمجد للانسان... لابن الكادحين
 لحفيد بحار يجوب البحر في الليل الطويل
 لا يسرقُ المال الحرام من الجياع البائسين
 والمال كالأنهار يغدقه عليها
 والناسُ تصرخُ حين تسرق بالطريق
 يا بختها حظيت بمفخرة الرجال
 جاءَ ومال
 وسلالة الأصل العريق!

بعدما رأينا حرص الشاعر على مدينته وشعبه والحفاظ على حقوق المرأة من الضياع في هذه المدينة، وكذلك واقعيته في شعره وإصراره على تأصيل هذه الواقعية في مجتمعه وتقاليد الصارمة، لكننا نلاحظ بعض التناقض في تغيير الحياة في هذا المجتمع وفي مستقبل أفضل لهذا الشعب وتحقيق الآمال وبث الثقة بين الناس، وقد مثل ذلك بقصيدة في ديوانه اسمها (بيت من نجوم الصيف)، وهي عنوان ديوانه نفسه، صور فيها تجربته العاطفية وأمله وصموده أمام التقاليد في مجتمعه وسعيه لتغيير ذلك الواقع تغييراً يليق بسمعة بلده وسموها، إذ يقول⁽¹²⁾:

سعيداً كنتُ في حبي وأحبابي

بأقماري تصد جحافل الظلماء عن بابي
 وبيت من نجوم الصيف شيدناه،
 غزلناه من الاحلام وشيناه،
 وعشنا فيه عصفورين
 نغرد، نقطع الأبعاد جذلانين

واستمر الشاعر على هذا التفاؤل في تغيير الواقع الذي يعيشه في اغلب قصائد ديوانه سعياً منه لتأصيل قيم مجتمعه وبت فكرة الحضارة الجديدة في بلد اكتشف فيه البترول فوجب على أبنائه التغيير في كل شيء خدمة له، واستغلال ثرواته استغلالاً أوفر والقضاء على التقاليد القديمة وزيفها وصولاً إلى بر الأمان والعيش الرغيد وتوزيع الثروة على الكل بالتساوي وهو طموح الشاعر في أغلب قصائده الواقعية.

نبذة عن حياة محمد الفايز

يعدُّ الشاعر الكويتي محمد الفايز من شعراء الكويت الواقعيين الذين تركوا بصمات واضحة في تاريخ الشعر الكويتي، فقد ولد محمد فايز العلي في العراق عام 1932م وانتقل إلى الكويت عام 1965م، وهو يعدُّ من شعراء الكويت المعاصرين، له مقالات في الصحف والمجلات الثقافية والأدبية، وهو أحد أعضاء رابطة الأدباء في الكويت، وقد أشرف على معظم البرامج التلفزيونية في تلفزيون الكويت. له عدة كتابات منها ((الأرض والتفاح)) و((قصص قصيرة)) و((خالد بن الوليد))، وله ديوان شعر بعنوان ((الطين والشمس)) طبع 1970م، ومنها أيضاً ((مذكرات بحار))، وديوان شعر ((النور من الداخل)) عام 1966م. وديوان شعر ((رسوم النغم المنكر)).

الواقعية في شعر محمد الفايز

يتحدد مفهوم الواقعية أو التيار الواقعي في شعر محمد الفايز من خلال ديوانه ((مذكرات بحار)) حيث غلبت النزعة الواقعية على معظم شعره، وهو امتداد لما كتبه الشعراء الآخرون في منطقة الخليج العربي برمتها وخصوصاً عند من كتبوا على هذا النهج وقد كانت له طريقته في التعبير عن هذه الواقعية في معظم قصائده التي تختلف عما نهجه السبتي في كتابة قصائده

وأتباع الأسلوب المباشر في توصيل الفكرة والحديث عن المشاكل الاجتماعية والسياسية، فإن الفايز قد عمد إلى استعمال الرمز إلى الإشارة لهذه المشكلات وحلها، وقد اعتمد عنصر أو شخصية البحار الكويتي وما يلاقه من شظف العيش والفقر والظلم والتشرد للتعبير عن هموم المواطن الكويتي وطريقة عيشه⁽¹³⁾.

وقد أجاد محمد الفايز بهذه الطريقة في التعبير عن معظم هذه المشاكل وإيجاد الحلول لها عن طريق الحديث عن هموم البحار الكويتي وطريقته في حياته اليومية والحياة في منطقة الخليج العربي برمتها. إذ عكس هذه التجربة على باقي البحارين في مجتمعات هذه المنطقة. وقد صور أشكال هذه العيش من فرح وحزن وغربة، وتطرق كذلك إلى مرحلة الغوص التي كان أهل الكويت والخليج العربي يمارسونها بكل تفاصيلها والجهود المبذولة والمخاطر في هذه العملية. ولهذا نجده قد ألح على هذه الأحداث الحاحاً أوقعه في كثير من التكرار الشعري لهذه العملية، وتكرر لعواطفه. على عكس السبتي فقد ركز على عنصر العاطفة في شعره من خلال استلهم الواقع وتوظيفه في أغلب قصائده⁽¹⁴⁾.

وحينما نستقري أفكار الفايز الأدبية نجده قد ركز على عنصر الرمزية في معظم قصائده وكان رمزه (البحار)، سارداً واقع العيش القديم والحديث وطريقة المقارنة غير المتكافئة بين الاثنين معتمداً في ذلك على رمزه، وبخاصة الجانب الإنساني فيه المتمثل في الظلم والاضطهاد وكبت الحريات الفردية والجماعية، والحزن الذي يكتنف هؤلاء من هذه الشريحة من المجتمع. أما الجانب الثاني من أفكاره فهو (عنصر الذاتية) الذي يرمز للشاعر نفسه في همومه وما يعانيه هؤلاء الناس أجمعين وقد صورته في معظم قصائده ديوانه الذي نحن بصدد ودراسة معظم قصائده الواقعية⁽¹⁵⁾.

نجده في محاولته هذه يهدف لتسجيل واقعين مهمين في حياة الكويتيين وهما الحياة القديمة المعتمدة على صيد اللؤلؤ التي رمز لها الشاعر (بالبحار) والثانية الحياة بعد اكتشاف البترول والحياة بعد ذلك من واقع الترف والثراء غير المألوف وهذا كله عبر عنه في معظم قصائده على شكل أو نمطية الشعر العربي القديم ولكن بأسلوب لغوي جديد خالٍ من التعقيد مسجلاً فيه همومه وأحاسيسه الذاتية والفنية على شكل تعبير شعري غاية في روعة الأسلوب وتناسق المعاني.

وكما نرى أن رمز (البحار) في معظم قصائده دلّ فيه على حياة الإنسان الخليجي الذي عاش هذه الفترة من الظلم والاضطهاد والحياة غير المستقرة⁽¹⁶⁾.

ومن هنا يمكن تقسيم شعر الفايز إلى ثلاث مراحل من كتابته الشعرية المرحلة الأولى وهي مرحلة الرمز الذي اتخذها الفايز في أغلب قصائده وهو (البحار) ومعاناته وهو يرمز هنا إلى الإنسان في الكويت وما يلاقيه من ظلم وفقر وعوز مادي، والمرحلة الثانية وهي مرحلة الحب عند الشاعر وهنا يسجل ذلك عاطفياً وإنسانياً على شكل قصائد حب واقعية أو من نسج الخيال الشعري لدى الشاعر. ويركز كذلك على عودته من السفر وكيف يلتقي بحبيبته محملاً بالهدايا لها وهو يرمز لذلك في معظم قصائده لمحبة بأسمين هما (طيبة) و(أمنية) دلالة الأولى على الغربة والموت والفقر والثانية عن الفرحة بسلامة العودة والسعادة بلقائه زوجته والأبناء والأهل والأقارب. والثالثة تجليات العودة إلى المدينة وهي سر ولادته وعيشه ويصفها بالفقيرة التي يصعب العيش فيها. ولكنه يكتشف بعدها أنها ليست المدينة التي كان يحلم بها بعد عودته⁽¹⁷⁾.

نجدّه في مذكراته الشعرية التي كتبها يصور حياة البحار الذي هو رمزه، وما يتعرض له من أخطار غير مألوفة في كل يوم من الأيام قائلاً⁽¹⁸⁾:

أركب مثلي (البوم) و(السنبوك) و (الشوعي) الكبير؟

أرفعت أشرعة أمام الريح في الليل الضريع؟

هل ذقت زادي في المساء على حصير

من نخلة ماتت وما مات العذاب بقلبي الدامي الكسير

أسمعت صوت ((دجاجة)) الاعماق تبحث عن غذاء؟

هل طاردتك ((اللخمة)) السوداء و(الدول) العنيد؟

في القاع ((الرمادي)) خلفك كالخفير

مثلي وصارعت العباب

نلاحظ في أبيات القصيدة المتقدمة الذكر أن الشاعر قد صور لنا صورة واقعية عن حياة

هذا البحار الضعيف أو المسكين الذي يرتاد أعماق البحر بحثاً عن اللؤلؤ أو المحار، وقد

يتعرض إلى الأسماك المفترسة التي ذكرها الشاعر في أبيات قصيدته أنفة الذكر والتي اسماها

باسمها الصريحة وهي التي صادفها معظم الغواصين عند مزاولتهم مهنة الغوص الخطرة.

وفي مشهد آخر من القصيدة أو المذكرة نفسها تراه يصور لنا حال البحار أو الغواص

حينما ينزل إلى قاع البحر ويصطاد المحار والمخاطر التي يتعرض لها من جراء ذلك وبخاصة

الأسماك المفترسة، فهو يشكل لنا صورة حسية وبأسلوب غاية في الروعة وبحبكة درامية كيف يخرج هذا البحار من الماء وهو يرتجف ضعيف يعاني البرد والخوف، وبحوزته مجموعة من الألي، وهو يتخيل كيف ان المرأة الغنية سوف تشتري هذه اللاليء وتزين بها نفسها، وكيف تنام وهي لابسة هذه اللالي في حضن سيدها، وكيف حاله المزوي من جراء رحلة الغوص هذه ومخاطرها، إذ يصف ذلك بقوله⁽¹⁹⁾:

أمسكتُ ((مغلقة)) المحار؟

في الفجر مرتجفاً لتكتمل القلادة

في عنق جارية تنام على وسادة

ريشية في حضن سيدها ورائحة المحار

مملوءة درا سيملكه سواي

ولذا نجد أن الشاعر لم يبق على نمطه القديم في قصائده وهو التعبير عن الذات أو الوجدان وان أخذ يجدد في أفكاره ومفهومه. والأخذ بالتحدث عن ذات الناس أجمعين مصوراً في ذلك مأساة هذا الإنسان في عيشه اليومي، لا عن مأساة البحار فقط الذي هو رمزه في معظم قصائده، حين يتبادر له بأنه غريب في بلده فلذلك ينجح لتفكير بالهروب من هذا البلد وهذه الأخطار المحيطة به، والذهاب إلى أماكن أكثر أمان وهدوء، إذ يصف ذلك بقصيدة له واصفاً بأنه السندباد في رحلته والأخطار التي تتبع هذه الرحلة، قائلاً⁽²⁰⁾:

يا دنيا العذاب

ما ذاق مرّك مثل بحار تقاذفه العباب

عريان إلا من سواد

تتهيب الاسماك منه والبحار

أحنى من الأرض التي محلت فلا عطر يضوع

فيها ولا تنبت كروم

مهما تلبدت الغيوم وأمطرت كل السماء

تبقى ككف بخيلة تأبى العطاء

أواه يا أرض الحرائق والسموم

البحر أحنى من ضفافك، والشرع

سأعيدُ للدنيا حديث السندباد

يصور هنا رحلته في البحر كرحلة السندباد البحري القديم، ولكنه في غفلة من الزمن تطغى عليه بعض الأمور السلبية التي تقيد من حركته وتصبح عائقاً بينه وبين تحقيق أحلامه في الحياة السعيدة. فيجد نفسه ضعيفاً ومريضاً يعاني الفقر والحرمان والجوع، ولا يستطيع التخلص من هذا الواقع المرير، لكنّه لا يستسلم لهذا الأمر بسهولة، ويجد بين الحين والآخر بعض الإيحاءات من الأمل، فهو يصور لنا ذلك الحدث في صورة واقعية أو حسية قائلاً⁽²¹⁾:

ماذا يكون السندباد
يطوي البحار على هواه
بحباله
بشراعه
بإرادة فوق الغيوم
بيد تكاد عروقها الزرقاء ترتجل النجوم
يا أرض يا كهف الهموم
من عهد ((قابيل)) وقمحك كل عام
يسطو عليه الدود يا أرض الظلام
مصباحي النفطي يلهث مثل عيني لا تنام
وتهب عاصفة فتطفئه ويرتفع ((النهام)).

ونجده في أغلب الأحيان يعبر عن حبه لمحبيبته ويرمز لنفسه بذلك البحار الضعيف المسكين حينما يصطدم بحالة مأساوية وهي موت حبيبته بعد عودته من رحلة الغوص المتعبة أو قد تكون زوجته التي تعدّ الأيام لقدمه من البحر سالماً وإذا به يراها ميتة، وبذلك يتولد لديه شعور بالفقد لصيده الثمين حين يذهب ليعطيها لربان السفينة أو رب العمل ليبيعه إلى نساء أخريات يتزينن به، وشعوره كذلك بفقد زوجته، وكأنه في النهاية يصبح خالي الوفاض وقد رمز لذلك بعدة رموز منها (طيبة، أمينة)، دلالة على الإحساس بهذا الفقد الاجتماعي، بعد إن فقد صيده الاقتصادي أو المالي، إذ يصف ذلك في مذكراته الخامسة قائلاً⁽²²⁾:

لا لا تقولي رحلتي كانت طويلة
مازلت أذكر كل شيء عنك يا طيبة الجميلة
إني دفنتك في فوادي
بين أضلاعي العليّة

لا في التراب، وقد أجسك حين أمسك كل شيء في جواري
القرط يحمل ليل شعرك والمواقد حرّ ناري،
حتى ثيابك لا يزال عبيرها عبقا بداري
صندوقك الهندي ذو الأصداف والحق الصغير،
قبران لي ولقلبي الدامي الكسير

وفي مقطوعة أخرى من المذكرة الخامسة له يصف شفاء حبيبته كأنها الزنبق وملبسها
العربي الأصيل ويصف نفسه بالإبرة والخيط ويتمنى أن يخيط هذا الثوب قائلاً⁽²³⁾:

أين الشفاء العابقات كما الزنايق في رباها؟
ورداؤها العربي حين تخيطه ليلاً يداها؟
يا ليتني مسرى الخيوط وإبرة حملت شذاها

ويسترسل في وصوف الطبيعية ومكوناتها الحسية وواقعها الأبدي، فقد صور في قصيدة من
مذكراته الثامنة الجفاف والجذب، حين تحبس السماء أمطارها عن الأرض، مازجاً هذه الصورة،
وبخاصة صورة الجذب وبين وضع زوجته (أمنية) حينما يبكي طفلها من شدة الجوع والعطش، إذ
يقول⁽²⁴⁾:

وعلى ظهور جمالنا الظمأى تحجرت القراب
سوداء فارغة يغطيها التراب
كبطوننا تحت الشراع
صلي إذن فالموت أقرب ما يكون
والريح أغرقت السفينة والسماء
حققت علينا يا ((أمنية))!
صرخات طفلك في الظلام أسمعينه
نهداك ملوها الحليب وأنت ظمأن ترضعينه
في بيتك الطيني قابعة حزينة
تسأليني عن السفينة

نلاحظ هنا أن الحب أو رمزه قد اختلط برمز الغربة والخوف والقلق من الأتي من
المستقبل، ليشكل لنا صورة حسية حزينة عن طبيعة العيش التي يعيشها البحار، وهي القلق

والخوف الممزوجين بالحب، وما يسمى بصورة التخلص من القلق النفسي والاجتماعي، ولكنه بعد ذلك يتخلص من ذلك كله، بعد عودته من رحلة الغوص (البحار) ويكون له استقبلاً مهيباً أعدته له النساء، في صورة مفرحة بعيدة عن مظاهر الخوف والقلق والخوف من الآتي، إذ يقول واصفاً ذلك⁽²⁵⁾:

يا أغنيات البحر يا رقص النساء الضاربات
على الدفوف ويا عذارى الأغنيات
سأشوق دربي بينكن بثوبي العطر الجديد
وعباأتي السوداء
يا أغنيات القلب حين يجيش بالفرح الحزين
ها أنتِ قربي تجلسين
بثوبك العربي ذي الكم الطويل
والسلة الحمراء كالعش الجميل
وعلى الجدار بصيص فانوس ومرآة كبيرة

هنا صوّر لنا مقدار فرحه بعد عودته إلى مدينته سالماً وقد استقبل بأغنيات الفرحة والسرور، بعيداً عن مظاهر الحزن والأسى، والعودة من خلال سمة الحب التي تجمعها مع حبيبته، ولكنه بعد عودته يصور لنا جانب الرحيل أو العودة إلى السفينة من جديد، للذهاب إلى البحر لمزاولة مهنته من جديد، إذ يقول واصفاً ذلك⁽²⁶⁾:

أهدبُ عينيك تومئاً
تحت النقاب
والاصدقاء على الضفاف مع الشراع
يتربعون مجيء فارسك الحزين
كي يبحروا وكما رجعت مع المساء
إني سأبحر عائداً فإلى اللقاء

نلاحظ هنا أن الشاعر قد وصف أدواته الحسية في صياغة هذه المقطوعة من القصيدة واصفاً حياة الناس في مدينتهم من الفقر والبؤس والمرض، فهي مدينة أصبحت في عداد المدن المهجورة وتكاد تكون خالية من ناسها، ولذا فإن أغلب سكانها يفرون إلى البحر طلباً للرزق

وجلب المال للعيش الكريم، فضلاً عن وجود النساء والأطفال الذين ينتظرون عودة ذلك البحار المنقذ ليوفر لهم أسباب العيش الرغيد.

وعندما تقرأ مذكرات الشاعر محمد الفايز وبخاصة التي يذكر فيها رمزه البحار نجده يوظف هذا الزمر لخدمة أهل المدينة، وكأنه المخلص الوحيد لهم في البحر واليابسة وهما معادلتان متوازيتان من حيث الوظيفة والأداء. وكأنهما شيئاً واحداً. فمن هذا الرمز يتحقق لدينا الأمان والأمل في التغلب على المصاعب، حيث يصف ذلك في مذكراته الثامنة مصوراً ذلك الأمر تصويراً حسيماً إذ يقول⁽²⁷⁾:

وعلى الضفاف الغارقات
بالشمس والرمل المندى والضباب
وقف الصباح
يتربون سفينة الماء قالوا: تعود
بالماء من نهر الشمال
فالأرض رمل والسماء
بيضاء صافية كنهر من جليد
هيهات لم تمطر ويهتف من بعيد
نفر يشير: أن صارية تلوح
كهلال مئذنة يغلقها الضباب
عبر العباب

هنا الشاعر يصف الصورة المتكونة للمدينة وبما فيها من فقر ومرض وحرمان وعطش وجفاف مخيفة رسمها الشاعر بكلماته، لكنّه يتشوق لرؤيتها من جديد والعودة إليها، وكأنها الفردوس المفقود الذي يبحث عنه، من أجل الهرب من الموت في البحار العميقة، إذ يقول⁽²⁸⁾:

أصواتنا فوق السفينة حين نبحر ((والنها))
كغراب حارات قديمه
يشدو بالحن حزينة
للبحر والمحار: أبحرت السفينه
وغدا نعود لكم أحبابي على شاطئ المدينة
حاراتكم فوق الرمال ونحن في ليل البحار

ضوء النهار نصيبنا منه الظهيرة والجثام ومن الشموع دخانها، صوتُ النهام

ويصف ذلك الحال أيضا في مذكراته العاشرة أن المدينة على الرغم من فقرها وجذبها وظلامها
فأنها حبيبته والواسطة الوحيدة للخلاص النفسي حينما تخيفه البحار بأمواجها والأسماك المفترسة،
لذا فالمدينة هي المخلص الوحيد من تلك المخاطر على الرغم من وجود الأمور آتفة الذكر، إذ
يقول⁽²⁹⁾:

البحرُ أجملُ ما يكون
لولا شعوري بالضياح
لولا هروبي من جفاف مدينتي الظمأى وخوفي أن أموتُ
عريانَ في الأعماق أو في بطن حوت
إني أحاذرُ أن أموت
لما أفكر أن لي بيتاً ولي فيه عيال
لما أحسُّ بأن في الدنيا جمالُ

ويستمر الفايز على هذا المنوال في وصفه رمزه وهو البحار بأنه المخلص الوحيد لهذه
المدينة من فقرها وجوعها وعطشها وضنك العيش فيها داعياً إياه للاستمرار في هذا العمل ونشر
الأمن والعيش الرغيد، إذ يقول⁽³⁰⁾:

أسمى من الأوغاد في باريس يا وطني الحبيب
يا أيها الرملُ المعطرُ بالدماء
يا موطن الصياد والبحار يا خبزا وماء
أصواتنا فوق العباب وراء هاتيك القلاع
كصرير أبواب القلاع.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد استقراءنا لحياة وإشعار كل من الشعارين علي السبتي ومحمد الفايز وجدنا أن هذين
الشاعرين في دواوينهم وقصائدهم قد عالجا وضع المدينة إي مدينهم الكويت بكل محاسنها

ومساوئها. وبكل صراحة ووضوح للحقيقة وبأسلوب مختلف في هذه المعالجة لكن تجمعهم تجربة واحدة وهي مواجهة السلطة الحاكمة مواجهة ذاتية وفردية، معالجين كل الأمور الحضارية القديمة والجديدة والأسلوب الموحد في التصدي لمظاهر الحضارة الجديدة القائمة على جلب تقاليد الغرب التي لا تصلح لهذا المجتمع فيشعر أبناء هذا الوطن سواء كانوا من الجيل الجديد أو القديم بالغربة الزمانية والمكانية والنفسية. وقد توصل البحث الى نتائج عدة تخص موضوع الدراسة وهي:-

١ - يتحدد مفهوم الاتجاه الواقعي في شعر علي السبتي في معالجة المشكلات الاجتماعية والسياسية والمعاشية في بلده الكويت، وكيفية المعيشة لهؤلاء الناس والأخطاء في المجتمع الكويتي، والحكومة على حد سواء ومعالجة التقاليد السائدة في هذا المجتمع وكيفية الحد منها وما تجليه من مأس إنسانية واجتماعية على هذا البلد.

٢ - لقد عبر الشاعر علي السبتي في معظم قصائده عن المشكلات التي تصيب الإنسان الكويتي من خلال واقعه، ومنها مشكلات الحب والمحبة في مجتمع قيمه متخلفة باحثاً عن الحرية الفكرية والعاطفية له ولوطنه، والحد من الحس المتزمت للعقلية الاجتماعية والاقتصادية اللاهثة وراء المال والكسب السريع، وكذلك علاقة الرجل بالمرأة ووجود الرقيب الذي هو أساس المأسي التي تصيب الناس في علاقاتهم الشخصية والعاطفية.

٣ - وصف الشاعر علي السبتي في معظم قصائده مدينته الكويت بأنها مدينة مادية خالية من العواطف وإنها ذات طابع عمراني مبهر في جماله المنظور، لكنها تخلو من البشر الذين يمتلكون العواطف وسمات الحب، وإن حب المال هو السائد وهو دولة بين الأغنياء وهم قادرون على شراء كل شيء ولو بأصعب الإثمان. وإن ظاهرة الجنس وشراء الإعراض موجودة وبأرخص الإثمان.

٤ - لقد وصف السبتي المال وسطوته لدى الأغنياء والتعدي على التقاليد الاجتماعية آنذاك. ومنه تعدد الزيجات الفاشلة التي تترك لنا المأسى الاجتماعية، وهي عبارة عن تجارب عاطفية فاشلة مرد ذلك إلى عدم التكافؤ بين الزوج وزوجته من جميع النواحي المادية والمعنوية.

٥ - وصفه للقيود المفروضة على تحرك المرأة في الكويت، والسيطرة على حريتها من خلال العادات والتقاليد البائسة التي كانت تحكم المجتمع الكويتي آنذاك وسيطرة الرجل على المرأة واختلاف الميزان في الحقوق والواجبات جعل منه أن ينتقد هذه الحالة ويشخصها.

٦ - أما الشاعر محمد الفايز فقد تحدد مفهوم الشعر الواقعي لديه من خلال ديوانه (مذكرات بحار) حيث غلبت عليه النزعة الواقعية على مفهوم شعره، وهو امتداد لما كتبه الشعراء الآخرون في منطقة الخليج العربي برمتها وقد استخدم الرمز في التعبير عن أغلب مشكلات مدينة الكويت وهو (البحار) الذي يعد المنقذ الوحيد للناس في هذه المدينة من جوعها وفقرها وحرمانها وظلم حكامها. وحل المشاكل الاجتماعية والسياسية.

٧ - لقد سجل الفايز في شعره واقعين مهمين في حياة الكويتيين وهما الحياة القديمة المعتمدة على صيد اللؤلؤ والتي رمز لها (بالبحار) والثانية الحياة ما بعد اكتشاف البترول والحياة ما بعد ذلك من واقع الترف والثراء غير المألوف بأسلوب لغوي جديد خالٍ من التعقيد مسجلاً فيه همومه وأحاسيسه الذاتية والفنية.

٨ - تتلخص اشعار الفايز في ثلاثة مراحل مهمة من كتابته الشعر، الاولى مرحلة الرمز الذي أتخذ في أغلب قصائده وهو (البحار) المخلص وهو يرمز به ايضاً للانسان في الكويت وما يلاقية من شظف العيش، اما الثانية وهي مرحلة الحب عند الشاعر وفيها يسجل عواطفه وأحاسيسه تجاه محبوبته وهو يرمز لها أما بـ(طيبة أو أمينة) دلالة على الحب. والثالثة مرحلة تجليات العودة إلى المدينة وهي سر ولادته وعيشه ويصفها بالفقيرة البائسة.

٩ - لقد صور الشاعر رحلته مع البحر كرحلة السندباد البحري القديم، ولكنه في غفلة من الزمن تطغى عليه بعض الأمور السلبية التي تقيد من حركته وتصبح عائقاً بينه وبين تحقيق أحلامه في الحياة السعيدة. فيجد نفسه ضعيفاً ومريضاً يعاني الفقر والحرمان والجوع ولا يستطيع التخلص من هذا الواقع المرير.

١٠ - نلاحظ في أغلب قصائده أن الحب أو رمزه قد اختلط برمز الغربة والخوف والقلق من الأتي من المستقبل ليشكل لنا صورة حسية حزينة عن طبيعة العيش التي يعيشها

البحار وهي القلق والخوف الممزوجين بالحب وهو ما يسمى بصورة التخلص من القلق النفسي والاجتماعي.

١١ - لقد وظف الفايز رمزه البحار لخدمة أهل مدينته وكأنه المخلص الوحيد لهم في البحر واليابسة وهما معادلتان متوازيتان من حيث الوظيفة والاداء وكأنهما شيئاً واحداً.

الهوامش

- (1) ينظر: الكويت ماضيها وحاضرها (د. حسن سليمان محمود): 74.
- (2) ينظر: محاضرات عن المجتمع الكويتي (د. عبدالعزيز حسين): 143.
- (3) ينظر: البترول والتغيير الاجتماعي في الخليج العربي (د. محمد الرميحي): 151.
- (4) ديوان بيت من نجوم الصيف (علي السبتي): 139.
- (5) الديوان: 60.
- (6) الديوان: 61.
- (7) الديوان: 94.

- (8) الديوان: 96.
- (9) الديوان: 54.
- (10) الديوان: 68.
- (11) الديوان: 69.
- (12) الديوان: 32.
- (13) ينظر: أيام الكويتي (د. أحمد الشرباصي): 123. وينظر كذلك: تاريخ الكويت (د. أحمد مصطفى): 134.
- (14) ينظر: تاريخ الغوص على اللؤلؤ (سيف مرزوك الشملان)، ج1: 172.
- (15) ينظر: أدباء الكويت في قرنين (خالد سعود الزيد): 122.
- (16) ينظر: تطور الشعر الكويتي الحديث (د. إبراهيم عبدالرحمن محمد): 157.
- (17) ينظر: الأدب المعاصر في الخليج العربي (د. محمد الطائي): 154.
- (18) المذكرة الأولى: 8.
- (19) المذكرة الأولى: 6.
- (20) المذكرة الأولى: 9.
- (21) المذكرة الأولى: 10.
- (22) المذكرة الخامسة: 25.
- * النهام: المطرب البحري، ويكون عادة في أكثر السفن الكبيرة، ويقدم فنونه مع غيره من رفاق السفر والعمل، ودوره في الإيقاع الشعبي لا يقتصر على إضفاء البهجة، والترويح عن العمل، بل هو يشارك في العمل نفسه.
- (23) المصدر نفسه: 11.
- (24) المصدر نفسه: 37.
- (25) المذكرة السابعة: 69.
- (26) المذكرة السابعة: 70.
- (27) المذكرة الثامنة: 35.
- (28) المذكرة السابعة: 33.
- (29) المذكرة العاشرة: 46.
- (30) المذكرة العاشرة: 43.
- المصادر والمراجع

- ٢ - الأدب المعاصر في الخليج العربي (د. محمد الطائي)، مصر، القاهرة، 1976م.
- ٣ - أيام الكويت (د. أحمد الشرياصي)، مصر، القاهرة، ط2، 1956م.
- ٤ - البترول والتغيير الاجتماعي في الخليج العربي (د. محمد الرميحي)، مصر، القاهرة، 1977م.
- ٥ - تاريخ الغوص عن اللؤلؤ (سيف مرزوك الشملان)، الكويت، ط2، 1978م.
- ٦ - تاريخ الكويت (د. أحمد مصطفى)، الكويت، ط2، 1972م.
- ٧ - تطور الشعر الكويتي الحديث (د. إبراهيم عبدالرحمن محمد)، بحث في حواشي كلية الآداب، القاهرة، جامعة عين شمس، 1974م.
- ٨ - ديوان بيت من نجوم الصيف (للشاعر علي السبتي)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1969م.
- ٩ - الكويت ماضيها وحاضرها (د. حسن سليمان محمود)، العراق، بغداد، ط1، 1968م.
- ١٠ - محاضرات عن المجتمع الكويتي (د. عبدالعزيز حسين)، مصر، القاهرة، 1962م.
- ١١ - مذكرات بحار (للشاعر محمد الفايز)، الكويت، ط1، 1966م.

Realism in contemporary Kuwaiti poetry

Asst. prof. Dr. Jassim Ghali Rumi al-Maliki
Basra & Arab Gulf Studies Center

Abstract

Oil discovery stage was the cofactor of the realistic trend growth in gulf contemporary poetry, and because gulf society got rich quickly at this stage which changed the reality of these people put poverty, hunger, deprivation and injustice to the reality more welfare good live, starying of

a new stage of a civilized social life, no doubt this change at this stage has helped the trend towards realistic poetry technically and objectively unlike the romantic and affective stage, which takes the imagination of the poet toward a broader horizon to achieve self-melody, romantic and to access to the ideal world of the narrative events, it can be a passion or nature tangible or intangible in a very artistic images. The trend represented in Ibrahim Al-A'reidh, Ghazi al-Quseibi, Khalifa, and Ahmed al-Adwan and others.